كيف يؤثر الإعلام في تفاقم الأزمات الإفريقية: أزمة الكاميرون نموذجاً

أ. نهاد محمود أحمد

باحثة دكتوراه بالشؤون الإفريقية- مصر- القاهرة.

كانت وسائل الإعلام- ولا تزال- واحدة من أكثر الوسائل تأثيراً في الشعوب، كونها المصدر الرئيس في الكثير من الأحيان للمعلومات والبيانات، ومن ثم تكوين مواقف وآراء ووعي الأفراد إزاء القضايا المختلفة. يظهر ذلك جلياً في المجتمعات التي تشهد احتمالية مرتفعة لنشوب الصراعات العنيفة والمسلحة كبلدان إفريقيا جنوب الصحراء. أضف إلى ذلك ظهور وسائل الإعلام الجديد، أو ما يعرف بوسائل التواصل الاجتماعي، والتي يتنامى تأثيرها على رؤية الأفراد للأزمات والصراعات عن ذي قبل، كما أنها أصبحت- في بعض الأحيان- أداة لنشر خطابات الكراهية والمعلومات المضللة.

ويكون لوسائل الإعلام بنمطيها- التقليدي وغير التقليدي- حينها دوراً رئيسياً؛ فإما أن تتسم بالاستقلال وتكون أداة حاسمة في حل النزاع وإدارة العنف، وإما أن تتحيز لأحد أطراف الصراع، ومن ثَمّ تُشارك في تحمل مسؤولية زيادة العنف وتأجيج الصراع. ويرتبط هذا الدور ومدى تأثيره بمتغيرات عدة، يتمثل أبرزها في مدى التزامها بالقيم والضوابط المهنية، وإلى أي حدٍّ تقف علاقتها مع أطراف الصراع، وهو ما يحدد مدى استقلاليتها أو تبعيتها لتلك الجهات[١].

ويتجسد ذلك جلياً في حالة وسائل الإعلام الكاميرونية، وبخاصة فيما يتعلق بأزمة الناطقين بالإنجليزية المندلعة بالبلاد منذ عام ٢٠١٧م، والتي ترجع جذورها إلى استقلال الكاميرون عام ١٩٦١م، حيث مطالبة تلك الأقلية الناطقة بالإنجليزية- المقدرة بحوالي ٢٠٪ من السكان، بالمناطق الشمالية الغربية والجنوبية الغربية-، بالانفصال عن الدولة وتكوين ما أسموه بـ«جمهورية أمبازونيا»، نتيجةً لما يتعرضون له من إقصاء وتهميش في مقابل الامتيازات والحقوق الممنوحة للأغلبية الناطقة بالفرنسية- والتي تمثل حوالي ٨٠٪ من إجمالي السكان[٢]. إزاء تلك الأزمة فقد انقسمت وسائل الإعلام الكاميرونية إلى عدة جبهات؛ حيث انحاز

الأساس أن تمتلك وسائل الإعلام تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على الحياة السياسية، بما في ذلك مساءلة الحكومة تمثيلاً لواقع ومتطلبات المواطنين.

بعضها للأقلية الناطقة بالإنجليزية، بل وشارك بعضهم- صحافيين وإذاعيين وإعلاميين- بتلك الاحتجاجات وتم القبض على بعضهم، والتزمت بعض الوسائل الأخرى الصمت، فيما انحازت البقية للسلطة والأغلبية الناطقة بالفرنسية، بل وطالبوا الدولة بالقضاء على تلك الأقلية الناطقة بالإنجليزية.

عطفاً على ما سبق؛ ستقوم هذه الدراسة بالتركيز في واقع الإعلام على صعيد إفريقيا جنوب الصحراء، بدايةً من النشأة والتطور وأبرز الأدوار، وبخاصة خلال أوقات الاضطرابات والصراعات، مروراً بما تتسم به بيئة عمل وسائل الإعلام داخل القارة من صعوبات وتحديات، وبخاصة مع بروز الإعلام الدولي والإعلام الجديد (وسائل التواصل الاجتماعي)، وما يمكن أن يمثلاه من تهديدات على واقع الإعلام، سواءً داخل القارة أو على صعيد الكاميرون وأزمة الناطقين بالإنجليزية.

أولاً: نشأة الإعلام بإفريقيا جنوب الصحراء:

ظهرت وسائل الإعلام بدايةً خلال فترة الاستعمار، ووقعت في صراعات من أجل الاستقلال والتحرر، حتى بعد نيلها الاستقلال عانت من علاقتها بحكومات ما بعد الاستعمار،

(١) Collins G. Adeyanju, «The Mass Media and Violent Conflicts in Sub- Saharan Africa», Journal of Liberty and International Affairs (North Macedonia: The Institute for Research and European Studies, Vol.4, No.3, 2018(, P.74.

(٢) Siobhán O'Grady, «Divided by Language: Cameroon's crackdown on its English-speaking minority is fueling support for a secessionist movement» (Washington Post, Feb 2019), accessed in May 22, 2023, available on: https://wapo.st/2CwI8qL

وكانت قضايا كحرية الصحافة وتعددية وسائل الإعلام أهم محاور الخلاف بين الطرفين (الدولة في مقابل وسائل الإعلام)، وغالباً ما كان يتم تقويض هذه القيم نتيجةً لجملة من الانتكاسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي حدثت في العديد من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء المستقلة حديثاً؛ كانشغال الأنظمة بتأكيد سيادتها وشرعيتها، وتعضيد قضايا كالأمن بعيداً عن الديمقراطية وما تتضمنها من مبادئ وقيم[١].

في مرحلةٍ تالية؛ لم تسمح دول ما بعد الاستعمار- ذات الحزب الواحد- بالأصوات المعارضة الصادرة من وسائل الإعلام؛ لذا ظهرت المضايقات وفرض القيود من أجل إسكاتهم. وحتى المكاسب الشكلية التي تم تحقيقها لاحقاً لم تستمر طويلاً؛ حيث أدت الأزمات الاقتصادية المتلاحقة إلى تآكل المكاسب التي تم جنيها لإنشاء وسائل إعلام مستقلة نتيجة لنقص الموارد والإمكانات، وبخاصة في ظل اعتماد الدول الإفريقية على المساعدات الأجنبية، ورغم هذا فقد شكّلت مطالب الحرية والتنوع الإعلامي واستقلاليته جزءاً من شروط تلك المساعدات[٢].

جديرٌ بالذكر؛ أن وسائل الإعلام داخل إفريقيا جنوب الصحراء بدأت دون دور ملموس أو انتشار حقيقي، سواء خلال فترة الاستعمار مروراً بالفترات الأولى للاستقلال، وذلك حتى بداية التسعينيات التي شهدت الموجة الثالثة للتحول الديمقراطي وما تمخض عنها من إجبار للدول على تبني قيم الديمقراطية، والتي كان من بينها حرية الصحف وكل وسائل الإعلام، وبخاصةٍ مع ما عُرِفَ بإعلان «ويندهوك»[٣] لعام ١٩٩١م Windhoek Declaration، والذي كان بمثابة دعوة لحرية الإعلام تبناها الكثير من الصحفيين الأفارقة، وأيدتها فيما بعد «اليونسكو»- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.

واعتُبر هذا الإعلان بمثابة نقطة تحوّل لإدخال التطوير والتحديث على وسائل الإعلام في دول عدة بالقارة، ظهرت مثلاً بوادر ذلك التطوير في بنين عام ١٩٩١م، ثم في مالي وغانا عام ١٩٩٢م، وفي مالاوي وجنوب إفريقيا عام ١٩٩٤م، وهكذا انتقل الأمر لدول إفريقيا جنوب الصحراء واحدةً تلو الأخرى[٤]. وتزامن ذلك مع مرحلةٍ شهدت تخلّص دول إفريقيا جنوب الصحراء من نظام الحزب الواحد والأنظمة العسكرية، مقابل مزيد من الانفتاح السياسي والتنافسية، لكن بالطبع لم تكن كل هذه التحولات فورية وناجحة، بعضها تأخر أو لم يحالفه التوفيق في الفترات الأولى؛ مثال على ذلك كينيا،

(١) Herman Wasserman and Nicholas Benequista, «Pathways to Media Reform in SubSaharan Africa: Reflections from a Regional Consultation», Published paper in Center for International Media Assistance National Endowment for Democracy, (Washington D.C.: CIMA, December 2017), P.9.

(٢) Idem.

(٣) حلقة دراسية تم تنظيمها من قبل الصحافيين الأفارقة بعاصمة ناميبيا «ويندهوك»، في الفترة من ٢٣ أبريل حتى ٣ مايو ١٩٩١م، تحت إشراف منظمة اليونسكو، من أجل تنمية صحافة إفريقية مستقلة، وسُمي لاحقاً بـ«إعلان ويندهوك»، الذي اعتمدته اليونسكو فيما بعد، وأعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة بموجب قرار رسمي في العشرين من ديسمبر عام ١٩٩٣م «يوم الثالث من مايو» يوماً عالمياً لحرية الصحافة، يحتفل به الصحافيون لتذكير حكوماتهم بالكف عن تقييد حرية التعبير، وكذا للتذكير بزملائهم من الصحافيين الذين فقدوا حياتهم جراء ممارستهم لمهنة الصحافة.

(٤) Herman Wasserman and Nicholas Beneq-uista, Op.Cit., P.3.

والتي شهدت رغم إجرائها أول انتخابات رئاسية تعدديـــة عام ١٩٩٢م بعض التعثرات، فشـــاغلو المناصب استمروا في إساءة استخدام سلطتهم للتلاعب بنتائج الانتخابات لسنوات قادمة. لكن بعيداً عن الحالات الاستثنائية؛ فقد مثَّل إعلان «ويندهـــوك» انطلاقة جيدة لفترة انفتاح ومزيد من الحقوق الديمقراطيـــة والتعددية التي أدت إلى تغيـــر خريطة الإعلام بالقارة، وتجســـدت أبـــرز دلالاتها في الانتهاء الملحوظ للســـيطرة الحكومية على وسائل الإعلام، والتي سادت في بداية حقبة الاستعمار مروراً بالنظم الديكتاتورية العسكرية التي تولت الحكم بعد الاستقلال[١].

مـــن ناحيـــة أخرى؛ فقـــد شـــهدت بلدان إفريقيا جنوب الصحراء تغيُّراً كبيراً في انتشار وســـائل الإعلام والاطلاع عليهـــا، وبخاصة مع بداية الألفية، ويعود ذلك بشـــكلٍ أساســـي إلى المســـتجدات التي شـــهدتها القارة، والتي كان أبرزهـــا التحـــول من بقعة غيـــر متصل أغلبها بالإنترنـــت إلى وجود ملايين الأشـــخاص يصل إليهم خدمات الشـــبكة الدولية- كما سيوضحه الشكل الآتي.

ونشير هنا إلى أن استخدام الإنترنت يختلف بشـــكلٍ واضح من منطقةٍ لأخرى داخل القارة؛ ففي حين أن أكثر من نصف سكان جنوب القارة يســـتخدمون الإنترنت؛ فإن المعـــدلات أقرب إلى ٣٠٪ في غرب القـــارة، وحوالي ١٠٪ فقط في الوســـط. كما يلاحظ انخفاض اســـتخدام الإنترنت بشكلٍ خاص في البلدان غير الساحلية، حيث تكون البنية التحتيـــة اللازمة أكثر تكلفة، كما أن الوصول إليها أكثر اعتماداً على البلدان المجاورة[٢].

شكل (١): مستخدمو الإنترنت بالمائة من إجمالي السكان في إفريقيا جنوب الصحراء (١٩٩٠-٢٠٢٠م):

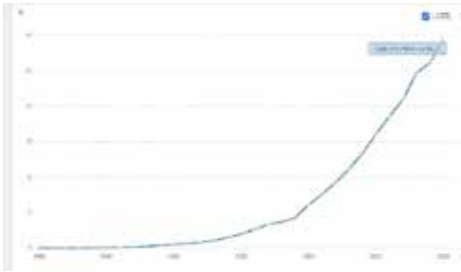

Source: The World Bank (WB)», Individuals using the Internet (of population)- Sub-Saharan Africa», accessed in May 20, 2023, available on: https://.rb.gy/9w4w7

أما فيما يتعلق بالوضع الراهن لحال وســـائل الإعلام بإفريقيا جنوب الصحراء، وبخاصة فيما يتعلق بحريـــة الصحافة، فقد أصـــدرت منظمة «مراســـلون بـــلا حـــدود»، Reporters Sans Frontières المعروفـــة اختصـــاراً بـــ RSF- المنظمة غير الحكومية المعنية بحرية الصحافة- في مايو عـــام ٢٠٢٣م، تقريرها حول حالة حرية الصحافة بـــدول العالم، والذي يُعَدّ مؤشـــراً عن مستوى حرية الصحافة عالمياً.

ونســـلط الضوء هنا علـــى بيانـــات التقرير المتعلقة ببلدان إفريقيـــا جنوب الصحراء، والذي أشـــار إلى وجود تنـــام ملحوظ لظاهرة انتشـــار المعلومات المضللة بوسائل الإعلام هناك، فضلاً عن الانتهاكات التي يتعرض لها العاملون بالإعلام، وبخاصـــة في البلـــدان التي مُنيـــت بالصراعات والتهديدات الأمنيـــة، حيث تقوم الحكومات هناك بالتعامـــل مـــع وســـائل الإعـــلام كأدوات دعائية وترويجية لسياســـاتها وممارســـاتها عبر نشـــر

(١) Idem.

(٢) Daniel Gerszon Mahler, Jose Montes, and David Newhouse, «Internet Access in Sub- Saharan Africa», Published paper in World Bank Group,) Washington, D.C.: WB, March 2019), P.1.

معلومات مضللة بما يلائم مصالحها. استمراراً بما ذُكر بالمؤشر؛ فقد احتلت مالي المرتبة ١١٣ والتي سبق وقامت باحتجاز الصحفي الفرنسي «أوليفييه دوبوا» لنحو ٧١١ يوماً كرهينة داخل البلاد. أما بوركينا فاسو فقد احتلت المرتبة ٥٨، وقد قامت مثل دولة مالي بطرد العديد من الصحفيين الأجانب لديها، فضلاً عن تعليق عمل عدد من وسائل الإعلام الدولية العاملة لديهما لأجلٍ غير مسمّى. أما جمهورية إفريقيا الوسطى فقد احتلت المرتبة ٩٨، والتي تقوم وسائل الإعلام لديها بنشر محتوى داعم ومروّج للدولة الروسية؛ وقد ساهم ذلك في انفجار ظاهرة المعلومات المضللة، حتى إن الشبكات الإعلامية المزيفة باتت تعمل على التشهير بالصحفيين الذين لا يمتثلون للأوامر الوطنية التي تفرضها الدولة هناك. أما إثيوبيا فقد احتلت المرتبة ١٣٠؛ حيث أدى الصراع بتيجراي إلى موجة من الاعتقالات للصحفيين هناك، فضلاً عن الدعاية المكثفة عبر وسائل الإعلام للدولة وسلطاتها. أما جمهورية الكونغو الديمقراطية فقد احتلت المرتبة ١٢٤، والتي يتعرض بها الصحفيون أيضاً للانتهاكات، مثل واقعة احتجاز صحفيين من قِبَل متمردي حركة ٢٣ مارس والقوات الموالية لهم بإقليم كيفو الشمالي[١].

على الصعيد ذاته؛ فقد احتلت كينيا المرتبة ١١٦، والصومال المرتبة ١٤١، ورواندا المرتبة ١٣١، وذكر المؤشر بأنه حتى في حال قيام السلطات المعنية بالدولة بفتح تحقيقات إزاء الانتهاكات التي يتعرض لها الصحفيون هناك، والتي تصل إلى حد القتل، فإنها لا تنتهي في الكثير من الأحوال بالتوصل إلى معرفة هوية المُحرّضين، كما حدث في واقعتي مقتل كلٍّ من الصحفي الكاميروني «مارتينيز زوغو» والصحفي الرواندي «جون ويليامز نتوالي». أما السنغال فقد احتلت المرتبة ١٠٤ بعد أن كانت نموذجاً إقليمياً يُحتذى به على مستوى القارة فيما يتعلق بحرية الصحافة؛ حيث شهدت تراجعاً بنحو ٣١ مرتبة في المؤشر، نتيجةً للتدهور الحاد في الظروف الأمنية للصحفيين أيضاً. أما بوروندي فقد احتلت المرتبة ١١٤، للأسباب ذاتها المتعلقة بالتعسف إزاء الصحفيين وتضييق بيئة عملهم؛ كالحكم التعسفي بالسجن لمدة ١٠ سنوات على الصحفية «فلوريان إيرانجابي» بزعم تقويضها وحدة الدولة الوطنية. على الرغم من ذلك فقد شوهد بعض التحسن في دولٍ مثل النيجر التي احتلت المرتبة ٦١، والتي أجرت تعديلاً على قانون الجرائم الإلكترونية المستخدم لديها لسجن الصحفيين في يونيو ٢٠٢٢م.

لكن بنظرةٍ عامة؛ فقد خلص التقرير إلى أن إفريقيا جنوب الصحراء تُعَدّ واحدة من أكثر بيئات العمل خطورة على العاملين بالدوائر الإعلامية لديها، وبخاصةٍ مع ما يسود بها من حالات الإفلات من العقاب، والتي تتزامن مع تزايد الاعتقالات التعسفية لأسبابٍ لا سند لها من قِبَل الدولة وسلطاتها[٢].

ثانياً: دور وسائل الإعلام بإفريقيا جنوب الصحراء:

تنقسم مهام وسائل الإعلام وفقاً للسياق الإفريقي بجنوب الصحراء إلى وظائف عدة، ترتبط بخصوصية متغيرات البيئة الإفريقية، يأتي أبرزها كما يلي: تحقيق الاندماج الوطني وتعزيز الهوية الوطنية، وتسليط الضوء على ممارسات

(١) RSF, «Africa :The new disinformation and propaganda laboratory», (Paris: Reporters Without Borders, 2023), accessed in May 17, 2023, available on: https://rsf.org/en/region/africa

(٢) Idem.

الفساد، وتعزيز قيم الحكم الرشيد والتركيز على قضايا اللاجئين والمهمشين، وغيرها من المهام ذات الصلة بالواقع الإفريقي، ونوضح ذلك على النحو الآتي:

١- تحقيق الاندماج الوطني:

كالدولة الكينية التي تمتلك إستراتيجية لإدارة وسائل الإعلام، يحكمها عددٌ من المحددات والمبادئ الرئيسة، كتحقيق الاندماج الوطني، وتعزيز الهوية الثقافية الكينية، ومواكبة التطورات المحيطة[١].

٢- تسليط الضوء على ممارسات الفساد:

مثلما حدث بدولة جنوب إفريقيا في التسعينيات؛ حيث قامت وسائل الإعلام هناك بأداء دورٍ قوي في مجابهة الفساد ومحاسبة السياسيين، ما أدى إلى توتر العلاقة بين وسائل الإعلام وحكومة حزب المؤتمر الوطني الإفريقي، وبخاصة مع تزايد الاتهامات بالفساد التي تم توجيهها للحكومة، والتقارير التي نُشرت حينها وتفيد باستيلائهم على مقدرات الدولة[٢].

٣- تعزيز الحكم الرشيد وحقوق الإنسان:

وهو ما حدث على سبيل المثال في أوغندا، والتي توصلت دراسة أجرتها مؤسسة FHRI –Foundation of Human Rights Intiative– المعنية بتعزيز حقوق الإنسان والحكم الرشيد بأوغندا، إلى أن تأثير وسائل الإعلام كان إيجابياً للغاية على المواطنين فيما يتعلق بغرس وتعزيز قيم كحقوق الإنسان والحكم الرشيد[٣].

٤- مساءلة السلطات والمساهمة في صنع السياسات:

فالأساس أن تمتلك وسائل الإعلام تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على الحياة السياسية، بما في ذلك مساءلة الحكومة تمثيلاً لواقع ومتطلبات المواطنين، كما يمكنها في بعض الأوقات أن تكون مساهماً في العملية السياسية أو مصدراً للمعلومات، فضلاً عن كونها في أوقاتٍ أخرى مرآة للعملية السياسية، ولكن نظراً لطبيعة البيئة السياسية المنغلقة التي تعمل بها وسائل الإعلام بإفريقيا جنوب الصحراء؛ فيلاحظ أنه يصعب في كل الحالات أن تقوم الوسيلة ذاتها بكل أوجه الأدوار والتأثيرات سالفة الذكر، وهو ما حدث في دراسة أجريت على هيئة الإذاعة الإثيوبية EBC Ethiopian Broadcasting Corporatio، والتي لوحظ إخفاقها في مهام عدة أوكلت إليها، والتي عادت لأسبابٍ كان منها المستوى العالي للتدخل من قِبَل الحكومة وضعف المشاركة من قِبَل المواطنين، فضلاً عن ضعف قنوات التمويل، وغيرها من القيود ذات الصلة المعرقلة لأداء وظائفها[٤].

---

(١) Paul M. Musau, «The Liberalization of the Mass Media in Africa and its Impact on Indigenous Languages: The Case of Kiswahili in Kenya», Ufahamu: A Journal of African Studies (Los Anglos: UCLA International Institute, Vol.26, Iss 2-3, 1999) P.6.

(٢) Herman Wasserman and Nicholas Benequista, Op.Cit., P.8.

(٣) Nimusima Sandra, "Role of Mass Media in Promoting Democracy in Ughanda", Published report in Kabmala International University (Kabmala: Kabmala International University, Faculty of Journalism and Media Studies, Sep 2017), P.xv.

(٤) Yedesdes Tesfa, «The Role of Media in Policy Making Process in Ethiopia: the Case of Ethiopian Broadcasting Corporation (EBC)», Published paper in Addis Ababa University (Addis Ababa: Addis Ababa University, College of Business and Economics), June 2017, P.vi.

٥- تيسير إجراء انتخابات حُرة[١] وتوفير منصة للمرشحين لعرض برامجهم:

حيث ساهمت وسائل الإعلام في تقديم مساهمات ملحوظة في إجراء انتخابات سلمية، مثلما حدث في تشاد عام ٢٠٠١م، وبوروندي عامَي ٢٠٠٥ و٢٠١٠م، حيث ساعدت وسائل الإعلام المحلية هناك بالاشتراك مع الجهات المانحة في إنشاء غرف أخبار لمراقبة الاقتراع في المقاطعات في جميع أنحاء البلاد، كما أنها وفرت منصة للمرشحين خلال الانتخابات للتعبير عن آرائهم وبرامجهم[٢]. كذلك في الانتخابات الرئاسية التي أُجريت في غانا عام ٢٠١٦م، وبخاصة في التعبئة للحملات الانتخابية للمرشحين[٣].

٦- تعزيز الانتقال إلى المراحل الانتقالية فيما بعد الصراعات:

كما حدث حينما أنشأت الأمم المتحدة إذاعات مستقلة لبناء السلام، كما في جمهورية الكونغو الديمقراطية - كوت ديفوار- ليبيريا - سيراليون - السودان- دارفور - تشاد[٤]. كما ساهمت وسائل الإعلام في الحفاظ على الحكم الدستوري في أوقات الأزمات السياسية؛ مثلما حدث في التجربة الغينية والكينية والنيجيرية[٥].

ثالثاً: تحديات أمام الإعلام بإفريقيا جنوب الصحراء:

تتعرض منظومة وسائل الإعلام داخل إفريقيا جنوب الصحراء لجملة من التهديدات التي تعيق من أدائها لمهامها ومسؤولياتها المنوطة بها، والتي غالباً ما تتمثل في أعمال الترهيب والرقابة العلنية من قِبَل الدولة للسيطرة على المُخرَج الإعلامي ووضع محدداته بشكلٍ عام، سواءً المرئي أو المكتوب أو المسموع، ويبرز ذلك في ظل ما تعانيه تلك الوسائل من إشكالية فيما يتعلق بتوفير القنوات التمويلية اللازمة لها؛ ما يجعلها أسيرة للنخب والسلطات التي تسد تلك الثغرات مقابل التحكم في مسارات المحتوى الإعلامي لديهم.

ويؤكد ذلك مؤشر استدامة وسائل الإعلام MSI- الذي تُجريه المنظمة الدولية غير الحكومية IREX، التي تعمل في حوالي ٤٩ دولةً بإفريقيا جنوب الصحراء، بالتشارك مع منظمات المجتمع المدني والكوادر الإعلامية والتربوية، وغيرهم من الشركاء ذوي الصلة-، حيث يشير الموشر إلى أن التمويل والقدرة على إدارة وسائل الإعلام يمثل الحلقة الأضعف المهددة لاستمرارية واستدامة تلك الوسائل، ويحول بين استقلالها وبخاصة فيما يتعلق باتخاذ القرارات، ومن ثَمّ يخلق بيئة غير مواتية لعمل تلك الوسائل الإعلامية بشتى أطيافها[٦].

تأسيساً على هذا؛ تنقسم هذه التحديات التي تواجهها وسائل الإعلام إلى نوعين من التحديات؛ يتمثل النمط الأول في تحديات مرتبطة ببيئة العمل داخل إفريقيا جنوب الصحراء، أما النمط الثاني فيتصل بتحديات خُلقت بواسطة وسائل

---

(١) Kwame Karikari, «African Media Breaks Culture of Silence», Africa Renewal, Aug 2010, accessed in May 24, 2023, available on: https://shorturl.at/jEKUY

(٢) M.S. Frure and I. Hestad (ed), «Elections and Media Constraints in Sub-Saharan Africa», CMI (Bergen: Chr. Michelsen Institute «CMI», Vol.9, No.4, Jun 2010), Pp.3-4.

(٣) Matthew Ohiani Adeiza, «Digital Media and Presidential Campaigning in Sub-Saharan Africa: A Study of the 2016 Election in Ghana», PhD Dissertation (University of Washington, 2019), P.3.

(٤) Idem.

(٥) Kwame Karikari, «African Media Breaks Culture of Silence», Africa Renewal, Aug 2010, accessed in May 24, 2023, available on: https://shorturl.at/jEKUY

(٦) Herman Wasserman and Nicholas Benequista, Op.cit., P.4.

الإعلام ذاتها، وذلك على النهج الآتي:

١) تحديات تتعلق بطبيعة بلدان إفريقيا جنوب الصحراء:

تتضمن تلك الفئة من التحديات النابعة من داخل إفريقيا جنوب الصحراء عدة أنماط من التحديات؛ كالهشاشة الأمنية والقانونية والسياسية التي تعاني منها بلدان القارة، فضلاً عن ضعف الإجراءات التي تكفل حماية وسائل الإعلام، إضافة للعمل داخل بيئة منغلقة تضع الكثير من القيود والعراقيل السياسية - البيروقراطية - المالية، وغيرها من التحديات ذات الصلة كما سيرد على النحو التالي:

أ) هشاشة البيئة الأمنية وتأثيرها على سلامة العاملين بالدوائر الإعلامية:

حيث يتعرضون لجملة من التهديدات التي تعيق من حرية ممارساتهم لمهامهم، كأعمال الترهيب للصحافيين والإعلاميين والرقابة العلنية من قِبَل الدولة للسيطرة على المُخرَج الصحفي والمشهد الإعلامي بشكلٍ عام[١]. هذا ويختلف الوضع من دولة لأخرى، ولكن الأمر يزداد سوءاً بالمناطق المشتعلة بالاضطرابات والصراعات؛ فيعاني العاملون هناك من هجمات كالاختطاف والاختفاء القسري، والاحتجاز التعسفي والتعذيب، ومصادرة المعدات، والاعتداءات الجنسية ولاسيما إزاء النساء[٢]. مثال ذلك ما حدث في مالي من سرقة لمعدات الصحفيين بشمال البلاد خلال انقلاب ٢٠١٢ وتمرد الطوارق، فضلاً عن ما يتعرضون له من تهديدات أخرى كالإيذاء البدني، الإكراه على نشر بيانات مضللة... إلخ[٣].

ب) التدخل الحكومي في توجيه مسار المحتوى الإعلامي:

على الرغم من أن هناك دولاً تحظى بإعلام يشهد تعددية وتنافسية كنيجيريا وكينيا؛ فإن هناك الكثير من البلدان الأخرى لا يزال يعمل إعلامها في ظل بيئات منغلقة مقيدة، تحت سيطرة الحكومة، كإريتريا وغينيا الاستوائية ورواندا وإثيوبيا، حيث تكافح وسائل الإعلام في تلك البلدان من أجل خلق مساحة حُرّة تُعبّر عنها وعن واقعها[٤].

ج) التأثر بالأوضاع الاقتصادية:

شهدت- على سبيل المثال- دولٌ كبوتسوانا وإسواتيني وليسوتو وملاوي وناميبيا وجنوب إفريقيا وزامبيا وزيمبابوي- بدرجاتٍ متفاوتة- نقصاً في إمكانات المواطنين المادية، وبخاصة بين سكان الريف، فعلى الرغم من ارتفاع أعداد حاملي الهاتف المحمول فإن عدداً كبيراً من السكان لا يستطيع شراء الهواتف الذكية والوصول للإنترنت. في ظل هذا تكون المحطات الإذاعية المحلية بمثابة الوسيلة الرائدة، خاصةً بالنسبة للمهمشين وسكان الريف، لقدرة الإذاعة على تجاوز التحديات الجغرافية واستخدام اللغة المحلية وقدرتهم على تحمل نفقاتها[٥].

---

(١) Idem.

(٢) Agneta Sцderberg Jacobson, «Challenges and Entry Points for Regional Media Development Support in Sub Saharan Africa», Published report in Fojo Institute (Kalmar: Fojo Media Institute, June 25, 2020) accessed in May 10, 2023, available on: https://rb.gy/vp5dd

(٣) Media Assessment: Media in Mali divided by» conflict», Published report in International Media Support and Media Foundation and Panos West Africa (Norregade, Jan 2013) P.7.

(٤) Reuters Institute and University of Oxford, «The Challenges Facing Independent Newspapers in Sub-Saharan Africa» (Oxford, March 21, 2018) accessed in May 10 2023, available on: https://rb.gy/73x0i

(٥) Carol Azungi Dralega, «Media Viability, Covid-19 and the 'Darwinian' Experience in Southern Africa: Glimpses from Botswana, Es-

د) توظيف الإعلام من قبل الدولة للتحريض على العنف:

وبخاصة في الحالات التي تشهد سيطرة قبضة الدولة على وسائل الإعلام، كما حدث في انتخابات غانا عام ٢٠٠٨م، حين دعَت بعض المحطات الإذاعية إلى العنف وحشد الأفراد لمهاجمة فصائل المعارضة، وكذلك في بث خطابات الكراهية العرقية كما حدث في انتخابات كينيا الدموية عام ٢٠٠٧م[١].

هـ) هشاشة الأطر التشريعية والسياسية:

فتلك الأطر في معظم بلدان إفريقيا جنوب الصحراء مقيدة للغاية، وهو ما دفع اللجنة الاقتصادية لإفريقيا للتأكيد على الحاجة إلى مراجعة نقدية للبيئة القانونية التي تعمل فيها وسائل الإعلام في جميع أنحاء إفريقيا، فضلاً عن أنه حتى في حال التوقيع على التشريعات والبروتوكلات فكثيراً ما تتنصل منها الحكومات خلال قمعها لوسائل الإعلام[٢].

و) صعوبة الوصول إلى البيانات والمعلومات:

كما حدث على سبيل المثال في جمهورية الكونغو الديمقراطية، والتي تعاني بها وسائل الإعلام وبخاصة المستقل منها من إمكانية الوصول إلى معلومات وبيانات دقيقة وموثقة إزاء القضايا التي تسلط الضوء عليها، حيث تفرض الدولة قيوداً صارمة إزاء تداول المعلومات والبيانات، ما يؤدي لاحتكار الإعلام الحكومي للمشهد الإعلامي، فضلاً عن تركز الصحف في العاصمة «كينشاسا» دون غيرها[٣].

٢) تحديات تتصل بمؤسسات الإعلام:

تتمثل في ممارسات تلك المؤسسات غير المنضبطة البعيدة عن الضوابط المهنية والأخلاقية، كالعمل على بث خطابات الكراهية وتأجيج النزاعات، فضلاً عن تداول المعلومات المضللة دون التأكد من صحتها، أو مع العلم بعدم صحتها لتحقيق أهداف إحدى أطراف الصراع، إضافةً لما تعانيه من ضعف الموارد المتاحة والبنية التحتية القاصرة، والوقوع تحت تأثير وسائل الإعلام الدولي، وغيرها من التحديات التالية:

أ) خلق وعي عام مغاير للأحداث:

وهو ما حدث خلال الإبادة الجماعية التي اندلعت في رواندا بتسعينيات القرن الماضي؛ حين مارست بعض وسائل الإعلام الرواندية دوراً مباشر في التحريض على الإبادة الجماعية، كمحطة «ميلز كولينز الرواندية» Rwanda›s Radio Milles Collines، والتي نُسب إليها قيامها بتحريض الهوتو على قتل التوتسي[٤]. في مثل هذه الحالات لا تمارس وسائل الإعلام دوراً فقط في الدعاية والدفاع عن النظم المستبدة، بل يتسع دورها لتكون الذراع الأساسي لتشكيل رأي عام متعاطف مع تلك المجازر، وجعل المصالح الضيقة للنخب هي ذاتها المصالح العليا الوطنية للشعوب[٥].

ب) نقص المهنية اللازمة للعمل الإعلامي:

ونشير هنا إلى اجتماعٍ جمع بين ممثلي وسائل

---

(١) Kwame Karikari, Op.Cit.

(٢) Idem.

watini, Lesotho, Malawi, Namibia, South Africa, Zambia and Zimbabwe», In Carol Azungi and Dralega Angella Napakol (eds), Health Crises and Media Discourses in Sub-Saharan Africa (Berlin: Springer, May 2022), Pp.54-55.

(٣) Tabani Moyo, «Freedom of expression, access to information and media freedom critical for credible elections in Southern Africa», Feb 2023, accessed in May 24, 2023, available on: https://shorturl.at/ftCV6

(٤) Collins G. Adeyanju, Op.Cit., Pp.73-74.

(٥) Ibid., P.73.

الإعلام والمجتمع المدني بجنوب وشـــرق ووسط وغرب إفريقيا جنوب الصحـــراء في فبراير عام ٢٠١٩م، والذي توصلوا خلاله لعدد من التحديات التي تواجـــه رواد العمل الإعلامـــي هناك، وجاء أبرزها كمـــا يلي: نقـــص القـــدرات الاحترافية اللازمة ســـواء في ظل البيئة الإعلامية التقليدية أو الرقميـــة، وأرجعوا ذلك إلى عدم كفاية التعليم الجامعي المُتلقى للعامليـــن بالإعلام، فضلاً عن نقـــص الثقافة الإعلامية والإلمـــام ككل بالثقافة العامـــة، إضافةً إلى العزوف عن الاســـتثمار في تطويـــر مهـــارات العاملين بالمجـــال الإعلامي، وهجرة الكفاءات للمجالات الأكثر ربحاً كالإعلان والتسويق[١].

ج) سيطرة الرُعاة على محددات المحتوى الإعلامي:

يقع عددٌ ليس بالقليل من مؤسســـات الإعلام بإفريقيا جنـــوب الصحراء لتفضيـــلات ورغبات الكيانات الراعية لـــه؛ كالتحكم بالمحتوى المُقدّم وما يُنشـــر وما لا يُنشـــر، وهو ما يؤثر في جودة المُخرَج الإعلامـــي، وصولاً في الأخيـــر للتأثير في استقلالية المؤسســـة الإعلامية ومخرجاتها ككل[٢]، مثـــال على ذلك الصحافة في بنين، والتي تســـتمد إيراداتها من بيع النسخ المطبوعة أو من خلال مســـاهمات الرُّعاة، سواءً من قِبَل الأحزاب السياســـية كمؤسســـات، أو من قِبَل الشخصيات السياســـية أو رجال الأعمال، وكذلك المواطنين الذين يســـتخدمون الصحف لنشـــر الإعلانات، وقد تمخض عن ذلك عدم اســـتقلالية السياسة التحريريـــة لتلك الصحف، والتـــي غالباً ما تتأثر بصورة أو بأخرى بمن يســـاهمون في تمويلها[٣].

لكن رغم ذلك تؤكـــد بعض الكيانات الممولة على التزامها باحترام استقلالية المؤسسات الإعلامية التي تعمل معها، وبخاصة تلك التي تواجه تعثراتٍ تجبرهـــا على قبول مثل هذه القيـــود، مثال ذلك شركة Media Development Investment Fund: MDIF، التـــي تؤكد أن دعمها (المالي- اللوجستي- تقديم تدريبات صحفية وإعلامية... إلخ) للمؤسسات الإعلامية داخل أو خارج إفريقيا لا يتعـــارض مع حرية كل مؤسســـة فـــي تحديد المحتوى الإعلامـــي الخاص بهـــا، بما في ذلك محـــاولات التجديد والابتكار مـــن أجل الحفاظ علـــى جمهورها أو اكتشـــاف فئـــات جديدة من الجماهير[٤].

د) ضعف التغطية الميدانية والاعتماد على المُقدَّم من الوكالات الأجنبية:

ندلـــل على ذلـــك من خلال مـــا خلصت إليه دراسة صدرت عام ٢٠٢١م حول التغطية الإعلامية بعدد من وســـائل الإعلام ببلدان إفريقيا، شملت غانا – نيجيريا – الســـنغال – إثيوبيا – تنزانيا – رواندا – أوغنـــدا – كينيا – الكونغو الديمقراطية – بوتسوانا – جنوب إفريقيا – زامبيا – زيمبابوي – (إضافة لمصر وتونس)؛ تم تسليط الضوء بتلك البلـــدان على التغطية الإخباريـــة وما يقابلها من معضلات، واعتُبر التمويل عائقاً رئيســـياً مشتركاً في كل تلك البلدان؛ فالمؤسسات لا تستطيع تحمل نفقات إرســـال فرق إعلامية إلى الدول الإفريقية الأخـــرى مركز الحدث، وبديـــلاً عن ذلك تضطر إلى الاعتماد علـــى المحتوى الإخبـــاري المُقدَّم مـــن الوكالات الأجنبية والـــذي لا يتفق بالضرورة

---

(١) Agneta Sцderberg Jacobson, Op.Cit.

(٢) Kwame Karikari, Op.Cit.

(٣) Tilo Grдtz, Media Development, Censorship and Working Conditions of Journalists in the Republic of Benin «West Africa» (Lisbon: Centro de Estudos Internacionais, 2015), Pp. 18-19.

(٤) Kwame Karikari, Op.Cit.

مع مـــآلات الحدث وخصوصيته، كما أنه يعبّر في الكثير من الأحيان عن رؤى تلك الوكالات دون أي اعتبارات أخرى[١].

هـ) إشكالية الترويج الملائم للمحتوى الإعلامي:

يقـــول في ذلـــك الســـياق مؤســـس إحدى شـــركات الإعلام الإفريقـــي وتُدعـــى Africa Uncensored؛ بـــأن الصحفييـــن رائعون فيما يتعلق بسرد محتواهم، إلا أنه يغيب عن عدد كبير منهم الترويج الجيد لما يقدمونه، ما يؤثر ســـلباً على عدد الجمهور المستهدف ومن ثَمّ استمرارية المحتـــوى، لذا تعمل هذه الشـــركات على تقديم تدريبات للكـــوادر الإعلامية حول ســـبل وأدوات الدعاية الملائمة للمحتوى الإعلامي، كُلٍّ بحسب طبيعته وجمهوره المستهدف[٢].

رابعاً: الإعلام الدولي كأداة لبسط النفوذ داخل إفريقيا جنوب الصحراء.. وانعكاس ذلك على المشهد الإعلامي بالقارة:

تشـــهد القـــارة وبخاصة في الآونـــة الأخيرة تأثيراً لا يمكن إغفاله على المشهد الإعلامي من قِبَل المؤسســـات الإعلامية التابعة للقوى الكبرى، كالصين – روسيا – الولايات المتحدة – فرنسا – وغيرها، وفي هذا الســـياق نتطرق إلى أبرز تلك التأثيرات على النحو الآتي:

١- الإعلام الصيني وأثره في بنية الإعلام الإفريقي:

من تَتبُّع ممارسات الصين في هذا السياق؛ نجد أنها تتبع نهجاً مؤسسياً أكثر في تصدير ممارساتها الإعلامية إلـــى إفريقيا، يتمثل إحداها في تدريب الصحفيين والمحررين الأفارقة بالبرامج الصينية على تجنب انتقاد الرؤســـاء والـــوزارات الأفارقة وكذلك المســـؤولين الصينيين، إضافةً إلى شراء أســـهم ملكية بتلك المؤسســـات ودفع ممارساتها التحريرية نحو تبنّي النموذج الصيني[٣].

أمـــا الأداة الثالثة للتأثيـــر؛ فكانت من خلال تصدير التكنولوجيا الصينية لإفريقيا التي تســـمح للحكومات بمراقبة المعلومـــات الرقمية عن كثب، بما في ذلك حجب المواقـــع وإغلاق الوصول إلى الإنترنـــت[٤]. ومن الضروري هنا الإشـــارة إلى ما يميّز الإعلام الصيني عن نظيره الغربي- الأمريكي، والذي يتمثل فـــي أن الأول (الإعلام الصيني) يعي ويـــدرس جيداً ما يقدمه إلـــى الأفارقة وما يقدمه عنهـــم، كما يحرص علـــى تقديم صـــورة إيجابية عـــن الأفارقة والقـــارة ككل، وذلـــك حفاظاً على علاقته متعددة الأبعاد بهم (اقتصادياً- سياســـياً- عســـكرياً... إلخ)، في حين أن الإعلام (الغربي – الأمريكـــي) لا يكترث كثيراً بصـــورة الأفارقة التي يقدمها عبـــر إعلامه، حتى وإن جـــاءت على نحوٍ سلبي أو مغاير للواقع[٥]، كما سيرد تفصيلاً.

٢- الإعلام الروسي وأثره في مخرجات الإعلام بإفريقيا:

يُعَدّ الوجود الروســـي المتنامي داخل إفريقيا

(١) Sandra Roberts and Albert Van Houten, «How african media covers Africa?», Published paper in Africa No Filter Organization (Johannesburg, 2021), P.15.

(٢) Paula Felps, «How African Independent Media Are Overcoming Growth Challenges», Global Investigative Journalism Network, Feb 2023, accessed in May 24, 2023, available on: https://shorturl.at/aDL47

(٣) Africa Centre, «China's Influence on African Media», The Africa Center for Strategic Studies, May 12, 2023, accessed in May 24, 2023, available on: https://shorturl.at/cuHV4

(٤) Idem.

(٥) Omotayo O. Banjo and Dirichi Umunna, »American Media, American Mind: Media Impact on Nigerians' Perceptions«, International Journal of Communication (California: USC Annenberg Press, Vol.16, 2022), Pp.3773-3774.

جنوب الصحراء واحداً من أكثر الظواهر الجديرة بالملاحظة والتحليل، فضلاً عما يثيره من تهديدات للحضور التقليدي للقوى الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة وفرنسا. ويعود ذلك لعدة أدوات تستخدمها الدولة الروسية لترسيخ ذلك الوجود، والذي يأتي أبرزها في القوة الناعمة عبر حضورها الإعلامي اللافت للانتباه داخل القارة، سواءً عبر الفروع الناطقة بالفرنسية لشبكات الأخبار RT و Sputnik التي ترعاهما الدولة، أو المحطات الإذاعية الخاصة التي تمولها؛ كمحطة إذاعة Lengo Songo بعاصمة جمهورية إفريقيا الوسطى «بانغي»، والتي تستهدف بالأساس الجمهور المحلي للترويج لممارساتها داخل أو خارج القارة، وهو ما يحدث على سبيل المثال من خلال تقديم معلومات مشوّهة حول الحرب (الروسية – الأوكرانية) بما يخدم في الأخير مصالح الدولة الروسية، ويُضفي الشرعية على الوجود الروسي وكل تحركاته، بل ويُعلي من الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» إلى حدّ ما وصفه البعض بأنه بات كالبطل الشعبي عبر محطات التلفزيون التي تُبث ببلدان إفريقيا جنوب الصحراء[١]. تأكيداً لذلك؛ يتحدث «عبد الله غيندو» منسق موقع Benbere– وهو موقع للتحقق من الأخبار ومدى صحتها يقع مقره بمالي– عما تتمع به مجموعة فاغنر Wagner من حضور كبير داخل مالي، ويتم تعبئة ذلك عبر إنتاج مجموعة من الأخبار الكاذبة حول فاغنر والدولة الروسية على نطاق واسع بمالي وغيرها من بلدان إفريقيا كبوركينا فاسو– إفريقيا الوسطى– الكاميرون، مشيراً إلى أن براعة الحسابات الموالية لروسيا أمر لا يمكن إنكاره. وتجسيداً لذلك التأثير الروسي القوي ببلدان إفريقيا جنوب الصحراء فقد تم تعليق إذاعة راديو فرنسا الدولية وفرانس ٢٤، اللتين تمولهما الحكومة الفرنسية، في كلٍّ من مالي وبوركينا فاسو؛ كما تم طرد المراسلين الفرنسيين من قِبَل قادة بمالي وبوركينا فاسو متحالفين مع الدولة الروسية، وهو ما دفع منظمة مراسلون بلا حدود بتقريرها الأخير– سالف الذكر– إلى التأكيد على أن مثل هذه الممارسات القائمة على حجب وسائل الإعلام الأخرى وطرد وقمع أفرادها قد أفردت المساحة لصالح وسائل الإعلام المواتية لروسيا داخل القارة.

بشكلٍ عام؛ يمكن القول بأن روسيا تعمل على تأكيد وجودها داخل القارة ووضع نفسها كحصن للأفارقة ضد الغرب، وقد أصبح هذا التأثير أكثر وضوحاً للحكومات الغربية؛ حينما رفضت ٢٦ دولة من أصل ٥٤ دولة في القارة الانضمام إلى تصويت الأمم المتحدة لإدانة الغزو الروسي لأوكرانيا[٢].

٣- الإعلام الغربي - الأمريكي وتأثيره في الداخل الإفريقي:

يشهد الإعلام الأمريكي والغربي حالة من التراجع داخل القارة في مقابل الصعود الروسي والصيني– كما تمت الإشارة؛ على سبيل المثال يرى بعضٌ من الأفارقة من أعمار متفاوتة (صغار– متوسطي العمر– كبار السن) وفقاً لاستطلاع رأي تم إجراؤه بأطروحة ماجستير بإحدى جامعات غرب تكساس West Texas A M University ، والذي توصّل إلى أن أغلب من شملهم الاستطلاع من الأفارقة لا يفضلون وسائل الإعلام الأمريكية والغربية لما تُنتجه من تقارير يشوبها الطابع السلبي عن القارة، فضلاً عن عدم

(١) Elian Peltier, Adam Satariano and Lynsey Chutel, «How Putin Became a Hero on African TV» (New York Times, April 13, 2023), accessed in May 24, 2023, available on: https://rb.gy/vybck

(٢) Idem.

إلمام تلك الوسائل بحقائق عدة بالداخل الإفريقي، والتعامل مع القارة ككل واحد دون اعتراف بالتنوع والتعدد الذي تتمتع به، فيرى مواطنو دولة جنوب إفريقيا مثلاً أن وسائل الإعلام الأمريكية دوماً ما تخص حديثها عن الأفارقة من ذوي البشرة السوداء وتتخطى وجود ذوي البشرة البيضاء داخل القارة، كما أنها تقوم بنقل صورة مغايرة عن الواقع في أغلب ما تنشره من تقارير وتغطيات[١].

في هذا المنحى المتعلق بنقل روايات مغايرة للواقع من قِبَل وسائل الإعلام الأجنبية (الغربية – الأمريكية)؛ نذكر ما قاله أحد مواطني دولة نيجيريا، خلال دراسته بإحدى جامعات ألمانيا، حين أخبره أحد زملائه الأجانب بأنه كان يعتقد وفقاً للإعلام الغربي بأن نيجيريا بلد بدائي يعيش مواطنوها حول النيران ويرقصون بملابس قليلة أو معدومة، وكيف أصيب بالدهشة لرؤيته أحد النيجيريين يزامله بالجامعة ذاتها، وذلك خلاف تلك الصورة الذهنية التي كانت لديه حول واقع هؤلاء الأفارقة هناك، وهو ما يؤكد كيف يمكن للإعلام غير المطلع أن ينقل صورة ذهنية للشعوب مغايرة ومشوشة تماماً عكس واقع تلك البلدان[٢].

خامساً: إرهاصات نشأة الإعلام الكاميروني:

شهدت الكاميرون منذ منتصف الستينيات وحتى منتصف الثمانينيات- حينما كان يسيطر حزبٌ واحد (وهو الحركة الديمقراطية للشعب الكاميروني) على الحياة السياسية- انعدام أي هامش للمعارضة، أو لتداول المعلومات خلاف ما يتم بثه عبر وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الدولة؛ فلم تشهد تلك الفترة أي تغيرات حقيقية إزاء الحريات بشكلٍ عام وإزاء حرية الإعلام بشكلٍ أكثر تحديداً. وقد خضع الكاميرونيين خلال فترة ما بعد الاستقلال لوسائل الإعلام المملوكة للدولة، سواءً تلك الممثلة في الإذاعة الوطنية الخاضعة لسيطرة الدولة، أو الصحيفة الكاميرونية الشهيرة Cameroon Tribune الخاضعة للحكومة أيضاً[٣].

أما في منتصف الثمانينيات، ومع ظهور سياسة التعددية وظهور المحطات التلفزيونية، بدأ المشهد الإعلامي الكاميروني يتغير شيئاً فشيئاً، وبخاصةٍ مع حالة الركود الاقتصادي الدولي التي أصابت تمويل المؤسسات والبرامج الحكومية. وقد أدت المطالبة بمزيدٍ من المساءلة العامة إلى ظهورٍ مطرد للمؤسسات الإعلامية الخاصة، انعكس ذلك بشكلٍ رئيسٍ على ظهور الصحف الخاصة ومحطات الراديو التي أعطت فرصاً ومنافذ جديدة من أجل حرية التعبير والإعلام، فضلاً عن المحطات التلفزيونية التي قدّمت بديلاً أكثر حرية وواقعية عن تلك المملوكة للدولة[٤].

بشكلٍ أكثر تفصيلاً فيما يتعلق بوسائل الإعلام المرئية «التلفزيون»؛ فقد ظهرت بالكاميرون عام ١٩٨٥م، ولم يكن هناك سوى قناة واحدة حكومية ذات ساعات بث محدودة، يتم بثها باللغتين الإنجليزية والفرنسية. أما ما أُخِذ من انطباع سلبي وقتذاك على هذه القناة الحكومية فقد تمثل في حجب الآراء الأخرى المعارضة؛ فلم يمنح التلفزيون الكاميروني في بداية تأسيسه المساحة لعرض وجهات النظر السياسية المختلفة، ما جعله

(١) Sheba Manya, «U.S. Mass Media Portrayal of the African Continent: The African Perspective», Master Thesis (Texas: West Texas A & M University), Pp. 56-57.

(٢) Ibid, Pp.7-8.

(٣) Seraphin Kamdem, «Cameroon: Media Freedom at the Crossroads», Published article in The Round Table (Milton Park: Taylor and Francis, 2019), P.217

(٤) Idem.

وسيلة مُحتكَرة بيد النظام الحاكم فقط.

الأمر لـم يقف فقط عنـد التلفزيـون؛ بل انتقل للإعـلام المقروء وتم احتـكار الصحافة الكاميرونية[١]، في البدايـة عانى قطاعٌ كبير من الكاميرونييـن من الإذاعات التـي تُبث بالداخل الكاميرونـي، فقد تنافسـت قناتـان تمثلتا في إذاعـة فرنسـا الدولية وإفريقيـا، وهي الإذاعة الأولى بالبلاد، ثم إذاعـة بريطانيا «هيئة الإذاعة البريطانية»، بدأت تلك الإذاعتـان بإنتاج تقارير تتضمن أخباراً تتناقـض والواقع الكاميروني، ما دفع المواطنين إلى التقارير التي تُبث من وسائلهم الإعلامية المحلية للحصول على تقارير ومعلومات غير خاضعة لتلك الرقابـة الأجنبية، فيما يتعلق بالأحداث التي تندلع ببلادهم[٢].

أما بخصوص وسـائل الإعلام المسـموعة بالكاميرون؛ فتعد الإذاعة واحدة من أهم وسـائل الإعلام بالدولة والاتصال مع الجماهير، وبخاصة فـي المناطـق الريفيـة وسـكانها ذوي الموارد المحدودة ومسـتويات التعليم المنخفضة، فضلاً عن قدرة الأفراد بتلك المناطق على تحمل نفقات هذه الوسائل المسموعة وضمان استدامتها، إضافةً إلى كونها تُبثّ باللهجات المحلية الكاميرونية مثل Ewondo – Fufulde – Bamoun، ذلـك في الوقت الذي كانت تُبـث فيه الإذاعة الوطنية باللغتين الإنجليزية والفرنسية[٣].

أما وسـائل الإعلام المكتوبة؛ فقد اتسـمت بالتحفظ الشـديد خلال فتـرة الرئيس «أحمدو أهيجو» بالسـتينيات، وكانـت الصحافة حرةً ما دامت لم تشتبك مع الدولة وما تضعه من خطوط حمراء. ومع قـدوم الرئيس الكاميروني «بول بيا» منـذ عام ١٩٨٢م شـهدت الصحافـة بعضاً من الانفتاح، وبخاصةٍ مع وعوده بالاهتمام بالصحافة والسياسـة، وتبعَ ذلك ظهور الكثير من الصحف، ما اعتبره البعض مرحلة جديدة لتحرير الصحافة الكاميرونية، لكن الأمر لم يستمر طويلاً، لكنه لم يعد بالقمع السـابق[٤]، وبخاصةٍ مع سَـنّ قانون الصحافة الكاميروني عام ١٩٩٠م[٥].

علـى الرغم من التنـوع الكبير في المنصات الإعلاميـة الكاميرونية، والـذي يصل لأكثر من ٦٠ محطة تلفزيونيـة، وما يقرب من ٢٠٠ محطة إذاعيـة، و٦٠٠ صحيفـة، لا يـزال إنتاج محتوى مسـتقل يمثل تحدياً كبيراً في الكاميرون، وذلك لجملة من الأسـباب التي يعود بعضها إلى البيئة الداخلية للعمـل داخل الكاميرون، والآخر لقصورٍ داخل وسائل الإعلام الكاميرونية ذاتها- كما سيرد لاحقاً[٦].

على صعيد وضع الكاميرون الحالي بمؤشـر الصحافة العالمي، الصادر عام ٢٠٢٣م عن منظمة مراسلون بلا حدود، فقد شـهد تراجعاً ملحوظاً بنحـو ٢٠ مرتبة فـي عام واحد؛ حيـث انتقلت الكاميرون من المرتبـة ١١٨ في عام ٢٠٢٢م إلى المرتبـة ١٣٨ عام ٢٠٢٣م، مـن أصل ١٨٠ دولة مأخـوذة في الاعتبار فـي الترتيب في بداية عام ٢٠٢٣م[٧]، ، وقد جاءت هـذه المرتبة المتراجعة

(١) Male Aichetou Makwen, «Journalism in Cameroon: A Brief History and Phases», Journal of Tam Academy (Antalya: TAM Akademi Dergisi, Vol.1, No.1, May 2022), P.76.

(٢) Ibid., P.77.

(٣) Idem.

(٤) Ibid., Pp.72-73.

(٥) للمزيد من المعلومات حول قانون الصحافة الكاميروني، انظر الرابط: https://bit.ly/45dMRJq

(٦) RSF, «Cameroon, Reporters without borders», ((Paris: Reporters Without Borders, 2023), accessed in May 13, 2023, available on: https://rsf.org/en/country/cameroon

(٧) Idem.

لجملة من الانتهاكات التي تتعرض لها وسائل الإعلام، وبخاصة الصحفيون المعارضون لنظام الرئيس الكاميروني «بول بيا»؛ أبرزها قتل نحو خمسة صحفيين في الفترة من سبتمبر ٢٠٢٢م إلى يناير ٢٠٢٣م جراء ممارساتهم مهام وظائفهم، وغيرها من الانتهاكات التي يشهدها العاملون بوسائل الإعلام الكاميرونية[١].

سادساً: مهام وسائل الإعلام داخل الكاميرون:

على الرغم مما تشهده وسائل الإعلام الكاميرونية من بيئة عمل شديدة الصعوبة، تُصنَّف على أنها واحدة من أكثر بيئات العمل خطورةً على المستوى الدولي تجاه العاملين بالمجال الإعلامي، لما تشهده من توترات وقيود وتهديدات، إلا أن ذلك لا ينفي الدور والتأثير المهم الذي تقوم به في تسليط الضوء على قضايا عدة مُلحّة؛ كالتعبير عن واقع المواطنين ومشكلاتهم، بما في ذلك مساءلة السلطات وتشكيل ضغوط على السلطة القضائية من أجل محاكمات حرّة، وتسليط الضوء على قضايا المهمشين واللاجئين، وغيرها من المهام البارزة فيما يلي:

١- الضغط من أجل محاكمات حرة وعاجلة:

حيث تساهم وسائل الإعلام الكاميرونية كالصحافة عبر تسليطها الضوء على النزاعات المعروضة على القضاء في جعلها قضايا تهم الشأن العام بما يُمثِّل ضغوطاً على القضاة بشكلٍ غير مباشر، ويؤدي إلى تسريع إجراءات المحاكمة، وهو ما يلقى قبولاً من السلطة التي ترى: أن تنفيذ مثل هذه العقوبات التي تحظى باهتمام عام يمكن استغلالها لترسيخ شرعيتها عبر تأكيدها للمواطنين بأنها تفي بوعودها وتعمل على تحقيق العدالة وإرضاء الرأي العام. إلا أنه يؤخذ على ذلك الوتيرة السريعة في نظر بعض القضايا، والتي قد تعيق من إصدار قرارات صائبة، بما يضرّ بأطراف القضية محل النظر للعجلة التي تم بها الاستماع إلى شهاداتهم ومن ثَمّ إصدار الأحكام[٢]. مثال على ذلك: تأكيد إحدى المحاميين الكاميرونيين «م. إيمانويل أوندو ندونغ»، بأن المحكمة حكمت على موكله بالسجن لمدة ٥٠ عاماً، بعد أن طلب المدعي العام سجنه لمدة ٧٥ عاماً في ديسمبر ٢٠١٣م، في واقعةٍ غير مسبوقة، وقيل إنه ربما تأثر القاضي بما قيل في الصحافة حينذاك حول القضية، حتى إنه طلب نشر بعضٍ من جُمل الحكم بمحطات الإذاعة والتلفزيون والصحف المحلية[٣].

٢- تعبئة المواطنين ورفع وعيهم السياسي:

وهو ما حدث بالفعل في عام ٢٠١٦م؛ حينما اشتد التهميش إزاء المواطنين الكاميرونيين الناطقين بالإنجليزية، وعلى إثر هذا قرّر المواطنون الاحتجاج إزاء كل هذا، وبخاصة مع قيام الراديو بتحفيز المواطنين، ما أدى لانضمام العديد منهم إلى الاحتجاجات، بما في ذلك الصحفيون والإذاعيون والإعلاميون[٤].

٣- إثارة النقاشات حول مشكلات الأقليات ومساءلة السلطات:

ويدلل على ذلك ما فعله الصحفي والإذاعي

(١) Journal du Cameroun, «Press Freedom :Cameroon Ranked Last in Central Africa», Journal du Cameroun, May 2023, accessed in May 17, available on: https://rb.gy/etvld

(٢) Fran3ois Wakata Bolvine, «Media and Justice in Cameroon or the Dynamics of a Dual Interaction», Advances in Journalism and Communication (Yaound1: University of Yaound1 and Advanced School of Mass Communication, Vol.5, No.2, June 2017) accessed in May 11, 2023, available on: https://rb.gy/pc8py

(٣) Idem.

(٤) WACC, «Media and conflict in Cameroon today» (The World Association for Christian Communication, Feb 2019), accessed in May 13, 2023, available on: https://rb.gy/p6x8w

الكاميروني «مانشـــو بيبيكسي» من جهودٍ؛ هدفت إلى تســـليط الضوء على حقـــوق الأقلية الناطقة بالإنجليزيـــة داخـــل الكاميـــرون، مـــع التركيز على التهميـــش الذي يتعرضون إليه (سياســـياً- اقتصادياً- اجتماعياً... إلخ)، كما أن «بيبيكســـي» اشتُهِر باستجوابه الحاد للسلطات الكاميرونية من خلال التحقيق في قضايا مهمة وشـــائكة، كإدارة النفط الخام والموارد المعدنية داخل الكاميرون[١].

٤- منصة للتركيز على قضايا اللاجئين:

وهو ما حدث بالفعل مـــن بث حلقات إذاعية لعددٍ مـــن اللاجئين بالكاميرون القادمين من عدة دول إفريقية كتشـــاد وإفريقيا الوســـطى، وذلك بدعم من المفوضية الســـامية للأمـــم المتحدة لشـــؤون اللاجئين، من أجل تســـليط الضوء على حالة اللاجئين بالكاميرون، ومحاولة إيجاد الحلول لمشكلاتهم، لكن رغم ذلك يأمل اللاجئون بأن يتم إنتاج برامج مستقلة ودائمة لهم، وألا يقتصر الأمر على مجرد حلقات منفردة ومؤقتة[٢].

٥- أداة للحفاظ على الهوية الوطنية لمجتمعات الشتات:

وهو ما يؤكد عليه الكاميرونيون خارج بلادهم، من كـــون تلك الوســـائل أداةً لاتصالهـــم بوطنهم ولغاتهـــم وهوياتهـــم، وتحديداً في ظل انتشـــار الإعلام العالمـــي ومحاولاته فرض ثقافات غربية بعيدة عن الثقافـــات الوطنية المحلية. يقول أحد الكاميرونيين بالخارج في ســـياق تلك الســـردية: «أحب الاســـتماع إلى الموســـيقى التي تُبث عبر محطات الراديـــو الكاميروني، لأنني ترعرعت في ظل هذه الموســـيقى، عندما أســـتمع إليها أشعر وكأنني عُدت إلى الوقت الذي كنت فيه بالكاميرون «وطني الأم»، فأســـتعيد ذكريـــات الماضي حول الحياة بها قديماً، حين كانت الأوضاع على ما يرام حقاً»[٣].

٦- الدور التوعوي بشأن الأمراض وبخاصة في المجتمعات الريفية:

وهو ما حدث بالفعل خلال قيام وسائل الإعلام الكاميرونية من إثارة النقاشـــات التثقيفية بشأن فيروس نقص المناعة البشـــرية «الإيدز»، وإنتاج تقارير متلفـــزة وصحفية حول العوامل التي تؤدي لانتشاره وطرق الوقاية منه، فضلاً عن محاولاتهم تغيير الصورة الذهنية السلبية المرتبطة بوصم من يَثْبُت إصابتهم بذلك المرض[٤].

٧- بناء السلام ودحض خطابات الكراهية:

فـــي حيـــن تنخرط بعـــض وســـائل الإعلام الكاميرونيـــة، وبخاصة تلك المملوكة للدولة، ببث خطابات الكراهية والعنف تجاه المواطنين، إلا أنه لا يزال الكثير منها- وبخاصة المستقل- يتمسك بإنتـــاج موضوعـــات تؤكد على ضرورة تماســـك الجماعات واحترام كافـــة اختلافاتها وتنوعاتها، وتشـــجب ما يتم عبر وسائل الإعلام الأخرى التي تبث بذور الفتن والكراهية، وتدعو للتناحر وتأجيج النزاعات، كأزمة الناطقين بالإنجليزية.

وقد بدأت بالفعل وسائل الإعلام الكاميرونية في توفير دورات تدريبية لكوادرها، كتلك الدورة

---

(١) Idem.

(٢) Rйdaction Africanews and Joel Honorй Kouam, «Refugees in Cameroon use the power of media to highlight their plights», Africa News, Jun 2021, accessed in May 24, 2023, available on: https://rb.gy/vc7hp

(٣) Henry Mainsah, «Cameroonians in Oslo, Diaspora and Uses of the Media», Nordicom Review (Gothenburg: Nordicom, University of Gothenburg, Vol.30, No.1, 2009), P.88.

(٤) Nukwa Queenter and, Muluh Z Henry, «The challenge of HIV AIDS: The role of the Cameroon Media», International Journal of Communication (California: USC Annenberg Press, Vol.17, No.2, July-Dec 2007), Pp.4-8.

التوعويـــة التـــي قُدّمت من قِبَـــل مركز حقوق الإنســـان والديمقراطية في إفريقيا Centre for Human Rights and Democracy in Africa- CHRDA في عام ٢٠٢٢م، حول كيفية تغطية النزاعـــات وضرورة قيام العاملين بالحقـــل الإعلامـــي بالتحقق مـــن صحة كافة البيانات والمعلومات قبل نشرها على الجمهور، إضافـــةً لضـــرورة قيامهـــم بدراســـة الخلفية التاريخيـــة المتعلقة بالأفـــراد والمناطق محل النزاع، فضلاً عن التدريـــب على كيفية اختيار المصطلحـــات أثناء إنتـــاج التقارير- مكتوبة أو متلفـــزة- خلال كل مرحلة مـــن مراحل النزاع، إضافةً إلـــى التأكيـــد على أهميـــة البعد عن خطابـــات الكراهية وبث الفتن، تجنباً لمزيدٍ من التأجيج للنزاعـــات والاضطرابات. وغيرها من المعايير والضوابط ذات الصلة[١].

سابعاً: العراقيل المواجهة لوسائل الإعلام الكاميرونية:

يواجه المشـــهد الإعلامـــي بالكاميرون عدة تحديـــات تُعرقِّل من أدائه وتؤثـــر في مخرجاته، ويمكننا تصنيف تلك التحديات إلى نمطين؛ يرتبط الأول بالدولـــة الكاميرونيـــة، أو ينبع من داخلها، وما يتصل بذلك من قيـــود وعراقيل بيروقراطية وقانونية يتـــم فرضها على وســـائل الإعلام، أما النمط الآخر من التحديات فينبع من داخل وسائل الإعـــلام، إضافةً لظهور وســـائل الإعلام الدولي والجديد وما أضافته من تحديات.

١- عراقيل تتصل بالسلطات الكاميرونية:

ترتبط تلك العقبات بالدولة وأجهزتها والتي يتمثل أبرزها في عدم إفساح المجال العام لكل وســـائل الإعلام وفرض القيـــود عليهم، إضافة إلى هشاشـــة كل مـــن البيئة الأمنيـــة المتعلقة بسلامة من يعملون بالدوائر الإعلامية وهشاشة البيئة التشـــريعية والاجتماعية المتصلة بحماية المؤسســـات الإعلامية والعاملين بها، وغيرها من التحديـــات ذات الصلة ببيئـــة العمل داخل الكاميرون، وذلك على النحو التالي:

أ) إغلاق المجال العام إزاء كوادر وسائل الإعلام:

والذي تجسّـــد في قمع العاملين بالإعلام، وبخاصة إزاء من يقومون بمهاجمة الســـلطات ونظام «بول بيا»، وتســـليط الضوء على الملفات التي لا ترغب الدولة في النقاش حولها، كقضايا التهميش بالمناطـــق الناطقة بالإنجليزية وإدارة النفط والموارد المعدنية[٢].

ب) تراخي البيئة الأمنية للعاملين بالدوائر الإعلامية:

فلا يوجد ما يضمن سلامة العاملين بوسائل الإعلام الكاميرونية، وبخاصة حال تســـليطهم الضوء علـــى القضايا التي تعتبرها الدولة خطّاً أحمر، وهو ما تجســـد بالفعل في ســـجن وقتل الكثير منهم. مثال ذلك: ما حدث لـ«بول شوتا»- مراسل ومدير منصة أخبار معلومات- الذي تم إيداعه بســـجن «كوندينغي المركزي» بالعاصمة الكاميرونية «ياوندي» عام ٢٠١٩م، كما تم الحكم عليه لاحقاً بالسجن ٢٣ شهراً في قضية تشهير؛ تقـــول جماعات حقوقية إنه شـــابها الكثير من الانتهاكات والخروقـــات، فضلاً عن خطفه في مناسبات ســـابقة وتعرضه للتعذيب مرات عدة

(١) CHRDA, «The media as a tool for peacebuilding in Cameroon«)Centre for Human Rights and Democracy in Africa, Nov 2022(, accessed in May 27, 2023, available on: https://rb.gy/uc5lv

(٢) Amindeh Blaise Atabong, «Media workers in Cameroon face rising, violent repression; the murder of journalists is Exhibit A» (Equal Times, May 2023) accessed in May 11, 2023) available on: https://rb.gy/dx95n

نتيجة انتقاده لحكومة الرئيس «بول بيا».

الأمر لم يقف عند «شـــوتا»؛ بل امتد لمذيع الراديو «مارتينيز زوغـــو»، الذي عُثر على جثته مشـــوهة بعد ٥ أيام من قيامه بتوجيه انتقادات إزاء ممارسات الفساد التي تتم داخل المؤسسات الكاميرونية، وعرضه قبل وفاته قضية اختلاس لأموال عامة تورط بها أحد كبار رجال الأعمال بالكاميرون «جـــان بيير أموغو بيلينجا» صاحب الروابط القوية بالحكومة[١].

تلـــك الانتهاكات لم تنتهِ بعـــد؛ فقد عُثر على المذيع الإذاعي الثاني «جان جاك أولا بيبي» ميتاً بالقـــرب من منزله عقب إطلاق طلقات الرصاص عليه، والـــذي كان من المقربين من «زوغو»، وكان فـــي طليعة المطالبيـــن بتحقيـــق العدالة لزميله المقتـــول. وغيرها من الوقائع التي تُعَدّ سلســـلة لا تنتهي من الانتهاكات التي تنخرط فيها بشـــكلٍ أساسي الدولة الكاميرونية إزاء العاملين بالإعلام؛ جراء ممارســـتهم لوظائفهم وانتقادهم ممارسات الدولة القمعية[٢].

ج) تكييف الإطار القانوني للتضييق على العاملين بالإعلام:

وهو ما يتم عبر اســـتخدام المحاكم الخاصة لمقاضاة بعضهم، كاستخدام قانون الإرهاب لعام ٢٠١٤م، والمحكمة العســـكرية فـــي عام ٢٠١٥م، للإبقاء على مراسل إذاعة فرنسا الدولية بالسجن لمدة عامين ونصف العام[٣].

د) غياب المظلة الاجتماعية الضامنة لحقوق الكاميرونيين بالحقل الإعلامي:

فنجد أن الســـواد الأعظم من الصحفيين لا ينتمون إلى الصندوق الوطني للتأمين الاجتماعي، وبالتالـــي لا يحق لهم الحصول علـــى أي معاش تقاعدي بموجب برنامج الضمان الاجتماعي، كما أنه من النادر أن توقع الشـــركات الإعلامية عقوداً مع موظفيها[٤].

هـ) انخفاض الأجور وقصور البنية اللازمة للمهام الإعلامية:

فما يتعلـــق بالأجور؛ يعمل بعض الكاميرونيين بالإعلام مقابل ٨٠ دولاراً أمريكياً شـــهرياً، حتى بعـــد قضائهم عامـــاً تحت الاختبـــار. كما يكافح الصحفيـــون من أجـــل الحصول علـــى المعدات اللازمة للقيام بوظائفهم، كالمسجلات والكاميرات وســـماعات الرأس وأجهزة الكمبيوتـــر المكتبية، فتُعَدّ خدمات الإنترنـــت رفاهية في معظم غرف الأخبار، أما الهواتف الذكية فهي نادرة الوجود[٥].

٢- عراقيل خُلقت بواسطة وسائل الإعلام:

تنبـــع هـــذه التحديات من داخل مؤسســـات الإعلام ذاتها ومسؤوليها، كعدم الالتزام بالمواثيق الإعلامية والقيم الأخلاقيـــة، التحيز وعدم تبنّي الضوابط المهنية اللازمة، قلة الممولين والرعاة، الوقوع تحت تأثير الإعـــلام الدولي، عدم القدرة علـــى المنافســـة مع وســـائل الإعـــلام الجديد «الرقمي»، وذلك كما سيرد.

أ) عدم الالتزام بالمواثيق الإعلامية:

كتأجيج النزاع والعنف داخل البلاد، وبخاصة في مناطق الاضطرابات، مثلما حدث في المناطق الشـــمالية الغربية والجنوبية الغربية بالكاميرون نتيجـــة نشـــر بعض وســـائل الإعـــلام مضامين

(١) Idem.

(٢) Idem.

(٣) RSF, «Cameroon, Reporters without borders», Op.Cit.

(٤) Solomon Amabo, «In Cameroon, press struggles with financial and official constraints» (Committee to protect Journalist, May 4, 2015), accessed in May 18, 2023, available on: https://rb.gy/qobou

(٥) Idem.

إخبارية مزيفة مستخدِمة خطاباً للكراهية. ولهذا فقد ظهر في هذا السياق دور المنظمات غير الحكومية كمركز حقوق الإنسان والديمقراطية في إفريقيا CHRDA- سالف الذكر، والذي نظّم دورة لمدة يوم واحد في مقره بـ«بوندوما بويا» لأكثر من ٥٠ صحفي، حول مفهوم صحافة السلام أثناء النزاعات المسلحة، تحت شعار الإعلام كأداة لبناء السلام في الكاميرون[١].

ب) ضعف المصادر التمويلية:

تعاني وسائل الإعلام الكاميرونية، سواء الصحف أو الإذاعة أو التلفزيون، من ضعف قدراتها على جذب المستثمرين بالمجال الإعلامي، وبخاصة مع القيود التي تفرضها الدولة على تلك الوسائل[٢].

ج) تركيز الاهتمام على الدولة مقابل تهميش المعارضة:

وهو ما يحدث بشكلٍ كبير من قِبَل القنوات والإذاعات والصحف الحكومية الكاميرونية، والتي غالباً ما توصف بالتحيز وتكريس الوقت الطويل للإشادة بالنظام وأفراده ومؤسساته، وإغفال ما دون ذلك من أحداث، وبخاصةٍ ما يتعلق بالمعارضة ونشاطاتها[٣].

د) التحيز وعدم الالتزام بالضوابط المهنية:

وهو ما تجسد جلياً خلال أزمة الناطقين بالإنجليزية الأخيرة؛ وما قامت به بعض وسائل الإعلام الكاميرونية من الوقوف مع أحد أطراف الصراع دون التزام الحياد والموضوعية؛ مثل قيام إرنست أوباما- صحفي ومدير قناةVision ٤ Television بالعاصمة الكاميرونية «ياوندي»- بحثّ الحكومة الكاميرونية من خلال برنامج Tour d'Horizon ، في أكتوبر عام ٢٠١٧م، على إعلان حالة الطوارئ بمنطقتي النزاع، وقمع كافة الناطقين بالإنجليزية حتى وإن تطلب الأمر قتلهم[٤].

هـ) صعوبة التنافس مع الإعلام الجديد:

حيث أدى إلى خلق حالة من التنافس شكّلت جملة من الضغوط على وسائل الإعلام الكاميروني التقليدية، وبخاصة مع تطور أدوات تلك المنصات الجديدة، أضف إلى ذلك الحرية النسبية التي تتمتع بها مقارنة بالوسائل التقليدية الواقعة تماماً تحت سيطرة الدولة[٥].

و) الإذعان لتأثير الإعلام الدولي:

مثال ذلك ما يحدث بقناة Afrique Média، وهي محطة تلفزيونية مقرها مدينة دوالا Douala الكاميرونية، والتي قامت مؤخراً بتوقيع شراكة مع شبكة التلفزيون الروسية التي تمولها الدولة الروسية RT، وتقوم عبر برامجها بشكلٍ دوري بامتداح وتأييد كل ما يتعلق بالدولة الروسية، وبخاصةٍ الغزو الروسي لأوكرانيا، حيث أعلن أحدهم مؤخراً عبر القناة التلفزيونية «المجد لبوتين»، وهو ما يدلل على كيف يمكن أن يؤثر الإعلام الدولي في مخرجات المشهد الإعلامي الكاميروني، واستغلاله كأداة ترويجية لممارساته ومصالحه حتى وإن تعارض ما يُبث مع ما يحدث بالفعل على أرض الواقع من حقائق ودلالات مغايرة[٦].

---

(١) WACC, Op.Cit.

(٢) Solomon Amabo, Op.Cit.

(٣) Idem.

(٤) WACC, Op.Cit.

(٥) Akem Nkwain, «Not an easy ride- the long and winding road to digital journalism in Cameroon», Published article in Aljazeera Media Institute (Doha: Aljazeera Media Institute, May 2022), accessed in May 14, 2023, available on: https://institute.aljazeera.net/en/ajr/article/1854

(٦) Elian Peltier, Adam Satariano and Lynsey Chutel, Op.Cit.

ثامناً: تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على المشهد الإعلامي الكاميروني وإدارة التوترات الإثنية:

تنظر الدولة الكاميرونية إلى وسائل التواصل الاجتماعي بوصفها عاملاً مؤجِّجاً للتوترات السياسية والعرقية المندلعة داخل البلاد منذ عام ٢٠١٧م. وفي هذا السياق؛ فقد أشار تقرير صادر عن International Crisis Group ICG في أغسطس ٢٠١٧م إلى أن منصات التواصل الاجتماعي، وبخاصة فيسبوك- الذي يُعَدّ أكثر المواقع استخداماً من قِبَل الكاميرونيين، يجب أن تعمل على تحسين المحتوى المتداول عبر منصاتها وحجب ما يُمكن أن يؤدي إلى تصعيد التوترات وخطابات الكراهية، وبخاصة من قِبَل الصفحات والحسابات التي تم التأكد من ترويجها للشائعات والمعلومات المضللة من أجل التحيز لطرف دون غيره بالصراع[١].

لكن ما سبق لا ينفي أن هنالك جملة من التأثيرات الإيجابية لظهور تلك الوسائل- إلى جانب الأبعاد التي تحمل جوانب سلبية- على حالة الإعلام داخل الكاميرون، وذلك على النحو التالي:

١- التأثير الإيجابي لوسائل التواصل الاجتماعي على واقع الإعلام الكاميروني:

فيما يتعلق بالتأثيرات ذات الطبيعة الإيجابية للإعلام الجديد، وما يتضمنه من وسائل تواصل اجتماعي على واقع الكاميرون إعلامياً، وانعكاس ذلك على إدارة التوترات الإثنية، فقد تمثلت في فتح أفق جديدة للحديث عن القضايا المختلفة والتعبير عن الرأي، فضلاً عن سهولة إنتاج مواد إعلامية ذات تكلفة أقل وانتشار واسع النطاق، أضف إلى ذلك ظهور منفذ جديد للتعبير عن قضايا المواطنين وبخاصة المهمشون والأقلية، بعيداً عن سيطرة الدولة على وسائل الإعلام التقليدية.. وغيرها من التأثيرات الإيجابية، وذلك على النحو التالي:

أ) خلق فضاء إعلامي بعيد عن قبضة الدولة الكاميرونية:

حيث كان لهذه الوسائل أثرٌ جيد في إضفاء هامش ديمقراطي على الحياة الإعلامية الكاميرونية، عبر خلق مساحة جديدة لتسليط الضوء على القضايا التي كان يُمنع الحديث بشأنها بوسائل الإعلام التقليدية التي تسيطر عليها الدولة، وهو ما حدث خلال أزمة الناطقين بالإنجليزية، حيث أُثيرت الأزمة على نطاق واسع المدى من قِبَل النشطاء والمواطنين عبر منصات وسائل التواصل الاجتماعي- فيسبوك وتويتر وغيرهما- بعيداً عن وسائل الإعلام التقليدية[٢]. لكن ذلك لا يعني أن الدولة فقدت سيطرتها تماماً على تلك الوسائل، بل أحياناً تقوم بحجبها وقطع خدمات الإنترنت من الأساس، وهو ما حدث حيث قامت الحكومة الكاميرونية بحظر خدمات الشبكة الدولية بمنطقتَيّ الأقلية الناطقة بالإنجليزية لأكثر من ثلاثة أشهر؛ بدعوى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لنشر أخبار كاذبة[٣].

---

(١) Moki Edwin Kindzeka, «Social Media a Major Factor in Cameroon's Domestic Tensions, Report Finds», Voa News, Dec 2020, accessed in May 26, 2023, available on: https://rb.gy/zf813

(٢) Julius T. Nganji and Lynn Cockburn, «How Twitter has been used in Cameroon's Anglophone crisis», The Conversation (Melbourne, June 2019), accessed in May 14, 2023, available on: https://rb.gy/ui581

(٣) Africa News, «Cameroon blocks social media access in restive English-speaking regions» (Africa News, Sep 2017), accessed in May 14, 2023, available on: https://shorturl.at/gjrvJ

ب) سهولة إنتاج مواد إعلامية ذات تكلفة أقل وانتشار أكبر:

وذلك بتجاوز الأساليب القديمة المرهقة التي تستغرق وقتاً طويلاً لنشر المحتوى في شكلٍ مطبوع أو من أجل تجميع الإنتاج التلفزيوني، وهو ما حدث كذلك في أزمة الناطقين بالإنجليزية، فمن خلال ما نشره عدد من المواطنين على منصات التواصل الاجتماعي من مواد إعلامية تتعلق بالأزمة، وما ترتكبه الدولة من انتهاكات إزاء تلك الأقلية، نشأ تفاعل واسع المدى والنطاق مع القضية، سواءً إقليمياً أو دولياً، ولم يقتصر التفاعل فقط على الداخل الكاميروني، وهو ما شكّل بعضٍ من الضغوط على الدولة الكاميرونية وسلطاتها[١].

٢- تأثيرات مهددة للإعلام والدولة:

أما على صعيد جوانب القصور، التي تُؤخذ على وسائل الإعلام الجديد في الكاميرون، فتتمثل في عدة أبعاد، كغياب المهنية، إثارة الشائعات وتأجيج الصراعات، نشر الأخبار المفبركة والمضللة دون التأكد من صحتها، وغيرها من نقاط الضعف التي تؤثر في المشهد الإعلامي ككل داخل الكاميرون، وذلك فيما يلي:

أ) غياب المهنية:

فليس كلّ مَن يمتلكون منصات رقمية متخصصين يمتلكون الخبرة لتقديم مادة إخبارية موضوعية بناءً على حقائق وبيانات دقيقة. وللتغلب على هذا؛ فقد بدأت الجامعات المتخصصة بالإعلام في الكاميرون بوضع برامج لتدريب الصحفيين على كيفية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية بشكلٍ عام في الصحافة والإعلام، وهو ما قررته بالفعل جامعة باميندا Bamenda الواقعة شمال غرب الكاميرون[٢].

ب) إثارة الشائعات وتأجيج القضايا[٣]:

وهو ما حدث حينما أشعل البعض- عبر وسائل التواصل الاجتماعي الكاميرونية- الصراع بين حكومة الكاميرون والحركة الانفصالية في الأجزاء الشمالية الغربية والجنوبية الغربية من البلاد (أزمة الناطقين بالإنجليزية، عام ٢٠١٦م)، وقيل حينها إن استخدام الأخبار المزيفة والمعلومات الخاطئة عبر موقعي تويتر وفيسبوك قد أدى إلى تأجيج نيران هذا الصراع[٤].

لابد هنا من الإشارة إلى أن هناك خلافاً كبيراً بالداخل الكاميروني حول مدى أهمية وسائل التواصل الاجتماعي وحتى الإعلام الدولي، ومدى تأثيرها على الدولة ومصالحها من جهةٍ وعلى المواطنين من جهةٍ أخرى. فمن ناحيةٍ أولى؛ تنظر الدولة إلى تلك الوسائل كمهدد لوجودها، وكذلك وسائل الإعلام الدولي، مثل بي بي سي التي سبق ونشرت مقطع فيديو لأحد أفراد الجيش الكاميروني وهو يقوم بحرق بعض بيوت الأقلية الناطقة بالإنجليزية ويعاملهم بوحشية، وحينها أنكرت الدولة تلك الاتهامات زاعمةً أنه ربما قام بعض من أفراد هذه الأقلية بارتداء الزي العسكري لإلصاقها بالجيش وزعزعة الدولة واستقرارها والتأكيد على قمع الدولة تجاه تلك المنطقتين.

من ناحية أخرى؛ يرى المواطنون الكاميرونيون أن تلك الوسائل (تويتر، فيسبوك،... إلخ) قد أفسحت المجال للتعبير عن آرائهم وقضاياهم وما يتعرضون له من تنكيل وانتهاكات، وتسليط الضوء

(١) Akem Nkwain, Loc.Cit.

(٢) Idem.

(٣) Seraphin Kamdem, Op.Cit, Pp.218-219.

(٤) Akem Nkwain, Op.Cit.

على قضايا لطالما أنكرتها الدولة، مثلما حدث عام ٢٠٠٨م قبل ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، حين اندلعت بعض الاحتجاجات لارتفاع أسعار المواد الغذائية، وقامت الدولة وقتذاك بقمع تلك الاحتجاجات وقتل عشرات المتظاهرين، وأصدر المسؤولون الحكوميون أوامرهم لوسائل الإعلام وموظفي المستشفيات بعدم الكشف عن أرقام الوفيات لإخفاء رد فعل الحكومة العنيف إزاء تلك التظاهرات، وهو ما لم يتمكن المواطنون من كشفه لعدم انتشار الهواتف الذكية ووسائل التواصل بكثرة كالوقت الحالي[١]. لذا؛ فعلى الرغم من اعتقاد الدولة بأن تلك الوسائل تهدد وجودها وتثير التوترات داخل البلاد، فإنها باتت منبراً لا بديل عنه للمواطنين لتسليط الضوء على ما يتعرضون له من انتهاكات، والتي جاء أبرزها مؤخراً في أزمة الناطقين بالإنجليزية.

خاتمة:

يمكن القول، من واقع تتبع حالة الإعلام داخل الكاميرون- وإفريقيا جنوب الصحراء بشكلٍ عام، وبخاصةٍ مع ظهور الإعلام الجديد، أنه على وسائل الإعلام التقليدية إذا رغبت في الاستمرارية؛ فلا سبيل أمامها سوى تطوير أدواتها ومخرجاتها بما يناسب الوقت الراهن ومستجدات واقع المواطن الكاميروني- والإفريقي- ومتطلباته. كما لابد من توافر آليات حتى وإن كانت ذاتية تابعة لوسائل الإعلام- بعيدة عن سيطرة الدولة- تضع قوانين رادعة فيما يتعلق بالمهنية والتزام الموضوعية، وبخاصة خلال أوقات الصراعات. لكن ذلك لا يعني أن تفرض الدولة سيطرتها من جديد على وسائل الإعلام، بل أن تتوافر الآليات المنوطة بتنظيم هذا الدور؛ شريطة ألا تؤدي إلى التعسف أو التضييق عليها ما دامت التزمت بالمعايير والمواثيق الإعلامية والمهنية المتفق عليها.

في الأخير؛ يمكن القول بأن وسائل الإعلام يمكنها أن تؤدي دوراً حاسماً في إخماد التوترات بين الشعوب، وبخاصةٍ تلك المتنوعة ثقافياً- عرقياً- إثنياً... إلخ. ومع ذلك؛ فإن دور تلك الوسائل المأمول وفقاً للحالة الكاميرونية لم يتم تحقيقه لأسبابٍ تتصل بمحددات الداخل الكاميروني وخصوصيته، مثلما حدث بأزمة الناطقين بالإنجليزية[٢].

بناءً على كل هذه الوقائع؛ يكون أمام الإعلام الكاميروني تحدياً بشأن تطوير أدواته ومخرجاته، إضافةً لإشكالية استيعاب الإعلام الجديد من قِبَل كلٍّ من الدولة ووسائل الإعلام التقليدية، وبخاصة خلال الأزمات والاضطرابات، على أن يحدث كل هذا بما يؤدي إلى الاحتواء والاستيعاب لا إلى التفاقم والتأجيج[٣].

لكن وفقاً لقراءة المستجدات الحالية للمشهد الكاميروني؛ فلا يُرجح أن الدولة ستتبنى في الوقت الراهن أية إجراءات من شأنها تقليل القيود على وسائل الإعلام، أو السماح بهامش أكبر من الحريات، سواء التقليدية أو تلك المرتبطة بوسائل التواصل الاجتماعي ■

(١) Kathleen Ndongmo, «Social media, repression and the crisis in Cameroon» (Africa Country, January 2019), accessed in May 26, 2023, available on: https://rb.gy/1c7nl

(٢) Afu Isaiah Kunock, «Media and the Management of Cultural Diversity in Cameroon: The Case of the Anglophone Crisis», Published paper in Oxford University Press (Oxford, Feb 2023), accessed in May 15, 2023, available on: https://rb.gy/qtblb

(٣) Idem.

How Media Exacerbates Crises in Africa? Cameroon as a Case Study

Nehad Mahmoud Ahmed
PhD Candidate at Faculty of African

This study attempts to discuss the critical role that mass media can play in sub-Saharan Africa, especially during times of crisis and instability, and the impact of new media as well as global media focusing on the African continent, particularly Russia, China, Europe, and American media.

The paper then focuses on the Anglophone crisis in Cameroon as a case study to illustrate the key role of the media in this crisis. The paper ultimately concludes that the media in sub-Saharan Africa, like the media in both Rwanda and Cameroon, deliberately misled citizens and led them to see a vision different from the facts that existed on the ground, thus contributing to several crises and even genocide, As the Rwandan media did during the 1994 outbreak of genocide in the country ■